مدينة شنقيط حاضرة العلم وحافظة التراث

خديجة بنت لداعه
قسم اللغة العربية وآدابها

تعد مدينة شنقيط رمز المصابرة والصمود، وعنوانا للتضحية وبذل الجهود وآية الاجتهاد في اكتساب المعارف والعلوم، فقد كانت العاصمة الثقافية للبلاد، إذ يؤمها من حولها من أهل القرى وتأوى إليها أفئدة راغبي العلم وقلوب صفوة التجار من مختلف المناطق والآفاق، فكانت بذلك قبلة الطلاب وكعبة العلوم ومسلك التجارة ومنطلق ركب الحجيج ومنتهى قصد استكمال المعارف والدروس، ومحل استصلاح المزارع والغروس ، وكنف استبضاع المواد وتبادل الدراهم والفلوس وهو ما هيأها لأن تصبح علما على القطر الموريتاني بأكمله فتوفر لها من الشهرة وانتشار السمعة والصيت ما لم يتوفر لنظيراتها من المدن والقرى، فعرفت نوعا من الذيوع والسيرورة بين العالمين فطفق كثير من أبناء هذا الوطن يعتمدون اسم هذه المدينة (شنقيط) ويصدرون عنه في كثير من عناوين مؤلفاتهم الثقافية وفي ندواتهم العلمية، وفي ألقاب جامعاتهم الأهلية وحتى في جهودهم الإعلامية وترويجاتهم التجارية إلى غير ذلك، فما ذا عن هذه المدينة موقعا ومناخا ونشأة وتاريخا ومعرفة وإبداعا؟ وما أبرز جهود أبنائها في احتضان العلم وصيانة التراث؟ ومن هم أبرز أئمتها وأعلامها، وكيف استطاعت هذه المدينة أن تنظم المعارف والعلوم وتشرئب نحوها الأعناق وتمتد إليها العيون في نهج مبارك غير مذمم ولا ملوم؟

أولا: المدينة، التسمية والنشأة والمناخ

وفي هذا الجانب سنعرض لأمور من بينها مناقشة التسمية وإثر ذلك نعمل على وضع المدينة في سياقها من التاريخ والجغرافيا.

1) المدينة:

التسمية وهيمنة التلفظ:

يحسن بنا في هذا المقام أن نتتبع دلالة كلمة شنقيط بدقة حتى نحدد المقصود منها والذي راج لدى الرعيل الأول من مؤرخي السلف هو أن شنقيط أو شنكيط لفظ مركب وهو يعني عيون الخيل باللغة الأزيرية وهنالك تأويل آخر ينطلق من مرجعية اللغة ذاتها، لكنه يقول إن الكلمة عندهم تعني عيون الجبل وهو منطلق من فرضية أن الذين وضعوا الكلمة غير الذين شرحوها حتى وفق هذا المذهب من وضع عربي أطلقها من يفترض أنهم فتحوا البلاد ولكن لغة الأزيريين بقيت لها السيادة حتى بعد الفتح ودلالة الكلمة فيها إما عيون الجبل أو عيون الخيل.([1])

فالتفسير الشعبي يذهب إلى أن تركيب الكلمة هو من كيط بمعني تل أو ربوة أو خيل وشن بمعنى عيون ، هذا التوجه أضعفه بعض الباحثين وقلل من قيمته وكلمة شنقيط تكتب مرة بالجيم شنجيط ومرة بالكاف الفارسية شنكيط ومرة بالقاف.

ويبدو أن السكان المحليين في عامتهم ينطقون شنكيط بالكاف الفارسية وفي كتاباتهم العلمية ومراسلاتهم الرسمية يكتبون شنجيط بالجيم.

---

[1]- الثقافة الشنقيطية (مقاربة نسقية) أطروحة دكتوراه من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط المغرب، إعداد الطالب: محمد الأمين بن الناتي، 2007، 2008، ص 64.

وقد يكون مرد ذلك إلى ما شاع من نطق عامي لكلمة شنكيط قلبا للقاف ذات الأصل العربي أو المعرب قافا حسانية إذ من المحتمل أن الاسم أصلا الشقيط بدل شنقيط وإنما أحدث النون الواقعة بين الشين والقاف بعد ذلك على ألسنة العوام.

والمعني بناء على هذا الافتراض الذي يلتمس للكلمة أصولا عربية فصيحة بلاد الشقيط الذي هو ضرب من الأواني الخزرفية المعروفة في العامية الحسانية ب :" لكدور" لانتشار صناعتها في البلاد فلما آنس أبناء المنطقة كثرة هذا النوع من الأواني سموا به المدينة خاصة أن الأواني ظلت الوسيلة الوحيدة للطبخ وتخزين الجواهر النفيسة منذ زمن بعيد([1]).

وفي تاج العروس ما يدل على أن الشقيط كان كثير الاستعمال لدى العرب<< فالشقيط كأمير أهمله الجوهري والصاغاني، وقال ابن الأثير هي الجرار من الخزف يجعل فيها الماء أو الفخار عامة، قاله الفرا.>> ([2])

وقد جاء في حديث ضمضم: رأيت أبا هريرة يشرب من ماء الشقيط([3]) رواه بعضهم بالسين المهملة وهو تصحيف كما في اللسان.

وفيه أيضا: ما يدل على استعمال شنقيط بالقاف من طرف المشارقة فيما بعد ألف للهجرة، فقد أورد الزبيدي مستدركا على صاحب القاموس: شنقيط بالكسر: << مدينة من أعمال السوس الأقصى بالمغرب>>([4])، والمعروف أن الزبيدي ولد سنة

---

[1]- شغالي بن أحمد محمود: كتاب التعارف (مخطوط) .

[2]- تاج العروس بشرح القاموس : الزبيدي . مادة شقط والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، الجزء2، الصفحة 341.

[3]- تاج العروس بشرح القاموس : الزبيدي . مادة شقط والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، الجزء2، الصفحة 341.

[4]- بحثت عن هذا الحديث ولم أقف عليه.

1145، وتوفي 1205هـ غير أن أحد الباحثين يستبعد أن يكون أصل كلمة شنقيط عربيا محتجا بأن السائد في صياغة أسماء الأماكن في منطقة الغرب الإسلامي إنما هو استخدام أعلام المكان مركبة تركيبا إضافيا بين اسم يدل على معنى معين وآخر يدل على المكان، ويرى بعض الدارسين الأسبان أن ذلك الأسلوب في التسمية هو الذي أدى إلى أن يطلق العرب اسم (مجريط) التي ستصبح لاحقا مدريد، فهي مركبة أصلا من مجرى الذي هو اسم مكان من جرى الماء إذا سال ورابط التي تعني مكان، فالمعني مكان جري الماء، كما احتج أيضا بأن الرواية الشعبية ستذكر رابية كيط فتتفق مع الرواية المكتوبة للتل أو الرابية التي كان محمد تل قد أقام عليها عريشه، وهو الموقع الذي سينطلق منه تأسيس مدينة شنقيط، ثم إن الرغبة الجامحة في التعريب هي وحدها التي تثبت تحويل الكاف البربرية في المكانية المحلية إلى جيم رغم المحافظة في النطق على ذلك الكاف.

ويخلص هذا الباحث إلى أن كلمة شنقيط من أصل أزيري بغض النظر عن تركيبها، وقد عربت بالتكييف مع ما رؤى أنه أقرب إلى النطق والخط العربيين مما لا يثير إشكالا صوتيا ولا خطيا.

ومما يشفع لهذا التعريب تزامنه مع التعرب الكاسح الذي عرفته المنطقة إثر مجيء بني حسان ومع البواكر الأولى لنهضة البلاد الثقافية فأصبحت لفظة شنقيط رمزا عربيا إسلاميا وحازت شهرة واسعة وذاع اسمها لدى الصفوة المشرقية مما سوغ إطلاق الاسم دالا على سائر هذه البلاد([1]) لذلك انتهى بعضهم إلى أن هذه التسمية في المنطلق "خارجية لكن قبلها أهل البلد عن طيب خاطر"([2]).

---

[1]- الثقافة الشنقيطية، ص 64

[2]- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، أحمدو بن الحسن، ص:22.

ثانيا المدينة موقع ومناخ:

تقع مدينة شنقيط وسط الهضبة التي عرفت قديما " بجبل آدرار " بين دائرتي العرض 20 و 21 شمالا وخطي الطول 12 و 13 غربا وعلى ارتفاع 500م عن مستوى سطح البحر وبارتفاع 274 متر عن مدينة أطار، وهي تتوسط ما يعرف ب " ظهر آدرار " لأن تلا على شكل أخدود يقسم المنطقة من الشرق إلى الغرب فما كان شمالي التل يدعى (الباطن) لأنه الأسفل وما كان جنوبيه يدعى (الظهر) لأنه هو الأعلى([1]).

ويحد هضبة آدرار من الشرق عرق وران الذي هو امتداد كثبان تاودن، وحافة الهضبة الغربية مطلة على سهول " أمساكة " وفيها أرض مستوية نسبيا ويتمايز شبه المنطقتين (الظهر . والباطن) من حيث الحرارة وطبيعة التربة و(الظهر أفضل تربة وألطف جوا)([2]) .

وتتلقى هذه المنطقة نصيبا كبيرا من أشعة الشمس حيث تصلها عموديا مرتين في السنة وقد أدى ذلك إلى خلو السماء من السحب في أغلب الأوقات وإلى ضعف في كثافة الغطاء النباتي وشح في المياه فيما عدى الواحات والأودية وقرب الآكام والرُبى([3])

ومن المعلوم أن الأمطار في منطقة آدرار تسقط أساسا في فصل الخريف وبكميات قليلة لا تتجاوز 100مم سنويا، والغطاء النباتي هزيل والتربة تتسم بالطابع

---

[1]– الثقافة الشنقيطية، ص 64.

[2]–المرجع السابق، ص 65.

[3]–سيد محمد بن محمد الأمين: الظاهرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حياة المرابطين، المدرسة العليا للأساتذة 1983–1984 ص 9.

الصحراوي ولأن الانحدار شديد في بعض الجهات والغطاء الرملي كثيف ومتحرك كانت الأمطار هي الأساس في توفر المياه([1]).

ومما يؤثر في تضاؤل التساقطات المطرية وجود تيار كناريا البارد الذي يمر بالشواطئ الشرقية للأطلسي فتزداد نسبة التصحر، إذ من المعلوم أن المياه الباردة لا تتبخر وإنما تساعد على وجود الضباب على الساحل وسيادة الجفاف في الداخل([2])

واستجابة لهذا الواقع المناخي فإن المواقع السكنية عموما توجد على جنبات الأودية والأحواض التي تعتبر مواتية للنشاط البشري على نحو ملحوظ حتى حلا لبعض وصف آدرار بأنه القلب النابض لبلاد شنقيط، إذ به الآن معالم أثرية تدل على تعاقب مجموعات بشرية مثل البافور والصنهاجيين([3]) وأكثر من ذلك شكل آدرار منطقة تلاق بين سكان البلاد الشماليين والجنوبيين لملاءمته النشاط الرعوي، حيث الارتفاع النسبي عن مستوى سطح البحر، فكان منطقة جذب لمنسي الإبل الفارين في بعض الفصول من المناطق المنخفضة التي يكثر بها البعوض ومختلف الحشرات، وقد كان تميز الإنتاج الزراعي القائم على غراسة النخيل منذ القديم عامل جذب للسكان في فصل الصيف حين تنضج التمور، وبما أن آدرار تحيط به باقي أقسام البلاد من جهاته الأربعة فإن الموقع لعب دورا رئيسيا وهو ما أهله للانفتاح على الخارج وجعل منه ممر وملتقى كل القوافل، فمكن ذلك من تدعيم الدور البارز الذي لعبه تجاريا وثقافيا في عهد ما بعد تدهور أوداغست وكمبي

---

[1]- محمد ولد الشيخ ولد عبد القادر: المشكلات الأساسية لواحات آدرار الموريتانية، ص6.

[2]. المرجع السابق والصفحة.

[3]. محمد ولد الشيخ ولد عبد القادر: المشكلات الأساسية لواحات آدرار الموريتانية، ص67.

صالح ، ذلك التدهور الذي يتبعه تحول في طريق القوافل من الشرق نحو الغرب فأصبحت تمر بمدن آدرار (شنقيط وودان في اتجاه تشيت وولاتة)([1]).

ثالثا المدينة نشأة وتاريخا:

يبدو أن الظروف المناخية المذكورة سابقة كانت مواتية للوجود البشري منذ آلاف السنين فقد أكدت الأبحاث الأركيولوجية أن أجناسا بشرية كانت تقيم بهذه المنطقة، فقد اكتشفت دلائل على تطون بشري في منطقة" الظهر" " والسن" وتيشت" ذات الطبيعة الصحراوية في الوقت الراهن مما يؤكد وجود وسط بئوي في العصور السحيقة مغايرا لحالته اليوم([2])

وعرفت هذه المنطقة سلالات بشرية عديدة تشمل السوانك وبافور والبربر الذين من حيث المعتقد أقرب إلى الفطرة حتى كان الفتح الإسلامي وفي سياقه تأسست مدينة شنقيط القديمة في أواسط القرن الثاني من الهجرة النبوية المباركة وذلك سنة 160هـ على مسافة ثلاث كلمتر شرقي موقعها الحالي وكانت تسمى آبير ولا يستبعد أن يكون تصغيرا لكلمة بئر مع السابقة البربرية القائمة مقام أداة التعريف (أ) ذلك أن التقاليد المروية أجمعت على أنها هي أقدم ما بني من الحواضر في هذه البلاد وليست الأثارات المكتوبة محليا بمختلفة حول ذلك عن المرويات ويضطرد وصف المدينة في العرف المحلي بأنها شنقيط الأولي وقد بات من المؤكد أن بين آبير وشنقيط ترابطا وثيقا في الامتداد البشري وفي العلاقة بين أحداثها التاريخية وفي التواصل المكاني.

---

[1] . المرجع السابق، ص 68.

[2]- سيافي وآخرون: الاستيطان القديم والبيئة في الجنوب الشرقي في مدينة تجكجة (آقريجيت) مجلة الوسيط العدد2 1988 ص90

ومن ثم جاءت شنقيط تجاوزا لآبير وبديلا عنها وتلقفت تراثها ولكنها ضمنت لها الإستمرار ومنحت لها الإسم فأصبحتا شنقيط الأولي وشنقيط الثانية.

ويذكر أن أول ما بني في هذه البلاد هو آبير إذ بنيت عام " قص" بحساب الحمل على طريقهم في تسجيل الأحداث أي عام 160هـ وهو شنقيط الأولى التي خرجت منها قبائل البيظان كلها.

قال أحد الشعراء

شنقيط الأولـي قد بُنِـي فـي عام قَصْ والثـاني فـي عام ضـخ قد ينتقص([1])

ويرى بعض المؤرخين أن شنقيط الأولى أسست على التقوى من أول يوم ، فلم تجيء حملة عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيد بن عقبة بن نافع هذه البلاد في طريقه إلى غانا وكمبي صالح سنة 127هـ إلا والإسلام قد اكتمل بعد ميلاده بها اكتمالا وإن كان قد بدأ بمستوى الاعتقاد واستمر فاترا إلى عهد المرابطين. ([2])

أما شنقيط الحالية فقد أسست بعد الأولى بخمسمائة سنة بالضبط وتقول الرواية الشفوية أن مؤسسيها رجال ثلاثة يسمى أحدهم محمد قلى (جد قبيلة الأقلال) وكان يتعبد في ذلك المكان حيث اتصل به رجل من أهل آبير اسمه يحي (وهو جد قبلة إدوعلي) ثم ثالث اسمه أعمر (جد قبيلة آمكاريج) فقد اتفق الثلاثة بعد لقائهم على الإقامة في هذه الضاحية للتعبد والتعلم وتنظيم شؤون الحياة وذلك سنة 660هـ . 1262م.

---

1. مذهب المقاصد: أحمد بن حَبَت ö، وفي قوله " قص " إشارة إلى تاريخ تأسيس آبير عام 160هـ وفي قوله " ضخ" إشارة إلى تاريخ تأسيس مدينة شنقيط عام 660هـ

2. عباس الحراري، ثقافة الصحراء، ص 8.

ومما يلفت النظر هنا التشابه الشديد بين قصة بناء شنقيط وقصة إنشاء دولة المرابطين إذ انتبذ عبد الله بن ياسين مكانا منعزلا أقام فيه رباطه المشهور للتعبد والتعلم ثم ما لبث أن أصبح مهدا لأول دولة موريتانية فكذلك كان مقام محمد قلي ورفيقيه على تل " قيط" وأنشأوا مدينة مالبثت أن صارت علما على البلاد بأكملها([1]).

وقد تشكلت الذاكرة الجماعية لسكان شنقيط مؤكدة بمنها مصرحة أنها مؤسسة على أمور منها فرادة مدينتهم بما حباها الله به من بركة ونماء لأنها ظلت تنمو بمعدل سنوي غريب على حساب مدينة آبير فلم تزل عمارة شنقيط تربو وعمارة آبير تضمحل إلى أن صار كأمس الدابر ولم يبق به داع ولا مجيب وابتداء عمارة شنقيط إلى زوال عمارة آبير أربعون سنة([2]).

وأخذت المدينة تزدهر علميا وثقافيا فتعدد بساحاتها المآذن وتنوع المكتبات والمحاظر فقد تحدث ابن الأمين في وسيطه عن مساجد المدينة قائلا: وكان في شنقيط أحد عشر مسجدا بالمسجد العتيق العامر اليوم وله اليوم نيف وأربعمائة سنة([3]).

رابعا المدينة: التربية والثقافة والعلوم

وسنتناول خلال هذا المحور ثلاث مستويات تشمل المناهج والمقررات والمؤلفين والمؤلفات والمساجد والمكتبات:

---

[1]. مجلة الشعاع ، العدد 1، 1983، مقال بقلم سيد أحمد بن الدي تحت عنوان مدينة شنقيط والماضي، ص 70.

[2] . سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم :صحيحة النقل في علوية إدوعل وبكرية محمد قلي (مخطوط).

[3] . الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، ص 426.

أ ـ المناهج والمقررات

إن المقررات في مدينة شنقيط وما جاورها لتسعى إلى تكوين الطفل تكوينا ثقافيا شاملا فغالبا ما يبدءون بتدبر القرآن وفي علومه يدرسون الشاطبية لأبي القاسم الشاطبي في القراءات السبع والدرر اللوامع على مقرإ الإمام نافع لابن بري ورسالة الشوشاوي في القراءات وفي الحديث وعلومه يدرسون موطأ الإمام مالك والصحاح الستة (البخاري، مسلم، ابن ماجه، الترمذي وأبا داود والنسائي) وفي العقيدة يدرسون مقدمة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر ومقدمة رسالة ابن أبي زيد وإضاءة الدجنة لأحمد المقرى.

أما في الفقه فيدرسون فيه رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومختصر الشيخ خليل بشرح الحطاب وحاشية الدسوقي على الدردير ويبدأون في العادة بمختصر الأخضري وابن عاشر لتكون شروح مختصر خليل هي وتحفة الحكام لابن عاصم خطوة بعد ذلك في التعمق.

وفي النحو يدرسون مختصر آجروم وملحة الإعراب وألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل ومؤلفات ابن هشام وفي الصرف لامية الأفعال إلى جانب قسم الصرف من ألفية ابن مالك وفي الأدب يدرسون دواوين الشعراء الستة الجاهليين والمعلقات السبع ولامية العرب للشنفري وقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير.

وفي اللغة يدرسون مقصورة ابن دريد والمقصور والممدود لابن مالك والشمقمقية وشروح عندهم دواوين أخرى منها شعر الهذليين وديوان المتنبي وابن زيدون ونحوها كما يعتنون بالسيرة النبوية الشريفة وأنساب العرب عناية خاصة ولهم اهتمام بالمنطق فيدرسون سلم الأخضري وفي البلاغة والمعاني يتداولون ألفية السيوطي ولهم عناية بالعروض والفلك والحساب العددي والرياضيات.هذا هو التعليم في مدينة شنقيط بطرقه ومناهجه على نحو موجز، ولعله المسؤول من ضمن أمور

أخرى عن شهرة المدينة التي دوت في الآفاق منذ القرن التاسع الهجري بفعل العلماء وركب الحج السنوي وهو ما سوغ إطلاق اسمها على سائر الأقاليم([1]).

2. المؤلفون والمؤلفات: سنعرض لهما في مستويين أولهما نخصصه للمؤلفات وثانيهما نفرده للمؤلفين

1- المؤلفات:

لعل أول مؤلف تتفق الروايات الشفوية على تسطيره بساحة مدينة شنقيط هو:

- ✓ نوازل الطالب محمد بن المختار بن الأعمشي العلوي (ت 1107هـ) وكانت نوازله مرجعا أساسيا ينقل عنه كل من يؤلف في النوازل.
- ✓ مفيد العباد سواء العاكف فيه والباد لأحمد بن البشير القلاوي (ت 1277هـ).
- ✓ موارد النجاح لأحمد بن البشير.
- ✓ اتفاق الأئمة في الفقه على المذاهب الأربعة لسيدي محمد بن حبت القلاوي (ت1288).
- ✓ المباشر عن ابن عاشر لعبد الله بن الحاج حمي الله القلاوي (ت1209) .
- ✓ نظم الأخضري وشرحه: عبد الله بن حمى الله القلاوي، (ت1209).
- ✓ كتاب في الفقه : للشيخ بن حبت القلاوي المتوفي (1299هـ) .
- ✓ كاشف الأستار عن زكاة الثمار لأحمد بن حبت القلاوي (ت1299).
- ✓ نقله في حكم معادن الأرض وملكيتها : للمؤلف السابق.
- ✓ في زكاة الحبس : لأحمد بن حبت القلاوي (ت1299هـ).

---

[1]. محمد المنتصر الكتاني : فاس عاصمة الأدارسة ص118 ط2 بيروت 1972، راجع كذلك الشعر والشعراء للدكتور محمد المختار بن أباه، ص33.

- ✓ شمس الإتفاق على من استعاذ من النفاق: لسيدى محمد بن أحمد بن حبت(ت 1301).
- ✓ التماس مخرج شرعي لبعض المعاملات الواقعة على خلاف المذهب المالكي لسيدي محمد بن حبت.
- ✓ مهدية الحياري إلى حكم من غلب وطنه النصاري لسيدي محمد بن أحمد بن حبت (ت: 1301).
- ✓ نازلة من أساءت عليه زوجته وقال لها أمرك بيدك : مجموعة من علماء شنقيط.
- ✓ نقلة في توضيح ألغاز ابن الأعمش إلى أهل أطار لسيدي محمد بن أحمد بن حبت .
- ✓ نظم وشرحه في حكم الملح: المؤلف السابق.
- ✓ رسالة تتعلق بالإمامة.....
- ✓ أجوبة فقهية (لم يكتمل تأليفه.... لنفس المؤلف).
- ✓ فتوى فقهية في شأن ما وقع بين أهل شنقيط
- ✓ فتاوى سيدي محمد بن حبت.
- ✓ كشف الإلباس عن زكاة الثمار والأحباس: المؤلف السابق.
- ✓ في حكم الحيض: لسيدي احمد بن إبراهيم الملقب الشيخ بن حامني القلاوي (ت:1318).
- ✓ نوازل للبشير بن البخاري بن أحمد محمود (ت 1335).
- ✓ حكم الزوجة ذات الشروط للبشير بن البخاري بن أحمد محمود القلاوي(ت 1335).

- ✓ الحاوي والجامع للعلم النافع والواقع، لمحمد بن البشير بن البخاري بن أحمد محمود (ت1373).
- ✓ كشف القناع في من صام أو أفطر بالمذياع : للمؤلف أحمد بن عبد العزيز بن حامني القلاوي المتوفي : 1990م.
- ✓ رايات النصر السطع على المرهفات القطع : للمؤلف محمد بن عبد الله بن فال، ت:1977م.
- ✓ نصيحة الأخوات المؤمنات عن التشبه بالملعونات للمؤلف السابق.

مؤلفات القراءات والتفسير:

أما مؤلفاتهم في تفسير القرآن وقراءاته فهي:

- سراج المفسرين للطالب محمد أحمد بن الوافي القلاوي (ت: 1110)
- نظم في القراءات السبع: لعبد الرحمن الإمام القلاوي (ت 1299) .
- شرح نظم القراءات لعبد الرحمن بن الإمام لأحمد بن حبت القلاوي (ت1299).
- نقله في الجيم لسيدى أحمد بن إبراهيم الملقب الشيخ بن حامني، ت 1318هـ.
- نقلة حول تسهيل الهمزة: للشيخ بن حامني:
- ملاحن القراء للشيخ أيضا.
- الياقوت والمرجان لمحمد البشير بن البخاري بن أحمد محمود.
- تعليق على نظم الجكني في الألفات المحذوفة للشيخ بن سيدي بن حبت .
- خلاصة على شواهد البيضاوي: سيدي محمد بن حبت القلاوي (ت1288).

مؤلفاتهم في العقيدة :

. شرح إضاءة الدجنة في عقيدة أهل السنة للمقري : شرحها محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت 1107).

. أجوبة في الإيمان: لسيدى أحمد بن إبراهيم الملقب الشيخ حامني القلاوي(ت 1318).

. ريا اللبنى على أسماء الله الحسني: لسيدي محمد بن أحمد بن محمد بن حبت.

. خواص أسماء الله الحسنى : للمؤلف السابق.

. نظم أسماء الله الحسنى لمحمد بن عاشور العلوي (لم نتمكن من ضبط وفاته).

ما ألف في السيرة النبوية:

- شرح نظم التجاني بن بابه العلوي : لأحمد بن حبت ت:1299.
- الآثار النبوية والشمائل المصطفوية في السيرة النبوية لسيد محمد بن أحمد بن حبت (ت 1952م).

التآليف في النحو:

يعد النحو أحد العلوم الرئيسية في الثقافة الشنقيطية إن لم يكن هو أهم العلوم التي سموها علوم الآلة، ومن أهم ما اعتنى به أهل شنقيط عناية فائقة درسا وتأليفا. ومن أهم مؤلفاتهم النحوية ما يأتي:

- المنن العديدة في شرح الفريدة لجلال الدين السيوطي والشارح هو محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت 1107هـ).
- المواهب اللدنية على شروح الألفية سيد محمد بن حبت القلاوي (ت 1288) وهو في ثمانية أجزاء.
- اختصار المواهب اللدنية من تأليف الشيخ بن حبت نجل مؤلف المواهب (ت1299).

- التأليف في البلاغة والعروض:
- مؤلف مذكور للطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت 1106هـ).
- مؤلف في البيان يذكر لمحمد بن أحمد محمود (ت 1345هـ).

أما في العروض والقوافي فمن مؤلفاتهم:

- الكافي في المهم من العروض والقوافي تأليف سيد محمد بن حبت القلاوي، ت 1288 وهو منظومة شرحها الناظم نفسه وحققها اسلم بن بيه.
- تبيين الظاهر والخافي على نظم الكافي في علمي العروض والقوافي للمؤلف السابق.
- شرعة نهوض الجافي على النظم الكافي في علمي العروض والقوافي لحفيد المؤلف السابق.
- كشف الغموض عن فن القوافي والعروض للمرحوم احمد بن عبد العزيز بن حامني 1990.

هذا بالإضافة إلى مؤلفات أخرى عديدة في الصرف وعلوم اللغة والفلك والمنطق والحساب والتاريخ والأنساب والتصوف وبعض المنوعات الأخرى.

III- المؤلفون:

وعرفت شنقيط علماء أجلاء، ففي أواخر القرن العاشر وأوائل الحادي عشر وصل شنقيط أحمد الذهبي قادما من تلمسان وهو شريف من سلالة عبد الله التلمساني الذي ذكر الرهوني وكنون أنه من أشياخ ابن عاصم ومر في طريقه إلى شنقيط بمراكش حيث لقي السلطان مولاي إسماعيل ثم أقام بشنقيط فترة يعلم الناس الفقه،

وكان أول من درس بها مختصر خليل وترك بها ولدين وعاد إلى مراكش. وتنتشر سلالته اليوم في موريتانيا. ([1])

ووصل شنقيط في القرن الحادي عشر شاب شريف ذكره صاحب الوسيط باسم الشاب الشاطر وبه يعرف في شنقيط المدينة والقطر يقول ابن الأمين " هو من العجائب" وساق طرفا من قصته وما ظهر عليه من خوارق العادات وقال إن أهل شنقيط وجوده بحرا لا ساحل له فانتخب أربعة منهم يعلمهم ولما أراد السفر قال لهم تركت فيكم المحمدين والعبدليين وابن المختار وهو "ال نختار " يعني به الطالب محمد بن الأعمش وهو أحد المحمدين أما العبدلان فلم يعين صاحب الوسيط منهما إلا القاضي عبد الله بن الطالب محمد قائد هجرة العلويين من شنقيط إلى بلاد القبلة([2]).

ويقول صاحب الوسيط إن هذا الشاب حين أراد الذهاب أخذ معه طلابه وأوصلوه المحيط الأطلسي فوضع مصلاه الجلدي (إيلويش) على ثبج الموج وتواري عن صاحبه تتعاطاه الأمواج على جهة قصده وبعد حين وجدوا مكتوبا في الأمتعة التي كانت فوق الجمل الذي كان يحمله وضمنه أبياتا تنوه بأهل شنقيط وتبرز منزلتهم في العلم والعمل والعبادة والتقوى والأبيات هي([3]):

رأيت رجالا لم أجد قط مثلهم ... بشنقيط سكناهم من أقصى المغارب

كراما عظاما خاشعين لربهم ... تحفهم الأنوار من كل جانب

عليهم سلام الله ما دام مجدهم ... ما دامت الأفلاك بين الكواكب

---

[1] . بلاد شنقيط المنارة والرباط، ص 73.

[2] . المرجع السابق والصفحة.

[3] . الثقافة الشنقيطية، مرجع سابق، ص 236.

وبعد هذا الجيل الأول ظهرت نخب من العلماء كثيرة نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

. الحاج محمد بن أبي هريرة بن المختار بن سيدي أحمد الشرعي بن أبي بكر بن علي القلاوي كان حيا عام ثلاث وسبعين وألف للهجرة (1073هـ 1663م).

. الفقيه محمد بن أبي بكر بن الهاشمي القلاوي، الآخذ عن بن الأعمش، ذو الأجوبة في أحكام مستغرقي الذمم، (توفي 1098هـ 1687م) .

. عبد الله بن محمد الحبيب العلوي الشهير بقاضي لبراكنه، الفقيه الآخذ عن الأجهوري في مصر وعن سيد أحمد بن القاسم الحاجي الوادادني أخذ عنه ابن الأعمش، توفي 1103هـ 1692م.

. الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي صاحب المؤلفات العديدة والنوازل الشهيرة ت، 1107هـ 1696م.

. الطالب محمد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الوافي القلاوي، كان قد تولى القضاء بشنقيط أربعين عاما، توفي 1110هـ 1698م.

. عبد الله بن أبي بكر بن على بن الشيخ المحجوبي، العلامة الفقيه النحوي المحدث المؤلف، جمع بين القضاء والإمامة، أخذ عن محمد بن أبي بكر بن الهاشم القلاوي، وأجازه ابن الأعمش توفي 1122هـ 1710م .

. الحاج سيدي أحمد بن علي بن الولي سيد الطالب الوافي القلاوي المتوفى 1125هـ 1713م .

. سيد عبد الله بن محم بن الفقيه القاضي العلوي العلامة الشاعر المعروف بابن رازكه المتوفي سنة 1144هـ ، 1732م .

. احمد المختار بن الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي المتوفى 1155هـ.

. أحمد بن الخليفة بن أحمد بن الحاج العلوي فقيه محدث نحوي قارئ بالسبع مكث نحو خمسين سنة يدرس العلم في شنجيط، توفي 1188هـ 1774م.

. محمد بن أحمد بن عبد الرحمن القلاوي الموسوي، فقيه نحوي لم نتمكن من ضبط وفاته.

. أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي، فقيه نحوي لغوي، له يد طويلة في شتى المعارف توفى 1193هـ 1779م .

. الحنشي بن الإمام سماكم القلاوي المتوفى 1195هـ 1781م

. سيدي مالك بن الحاج المختار بن الحاج محمد بن عبد الرحمن بن الحاج المصطفى القلاوي كان عالم شنجيط يضربون به المثل في الضبط والتحقيق توفي، 1201هـ 1787م.

. سيدي المختار بن الطالب سيدي أحمد بن محمد بن أحمد الحاج المصطفى القلاوي قرأ العربية على شيخه أحمد بن الحاج حمى الله في شنجيط توفي 1205هـ، 1791م.

. عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي الأحمدي علامة مؤلف في شتى العلوم، توفى 1209هـ 1795م.

. عبد الله بن الفقيه الطالب أحمد بن الحاج المصطفى القلاوي الأحمدي الشنجيطي أصولي قارئ فقيه، شاعر مجيد، فائق في علوم العربية، كثير المؤلفات في شتى العلوم، توفى 1209هـ 1795م.

بوبه بن أحمد مولود اليونسي ، كان من حذاق العلماء بولاته أخذ عن الطالب جدو بن الشيخ في شنجيط، توفى عشر الثلاثين والمائتين والألف الهجرية.

. الطالب جدو بن الشيخ العلوي، الفقيه لم تتمكن من ضبط وفاته.

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي الاحمدي المتوفى 1278هـ؛ 1862م.

خامسا المساجد والمكتبات:

للمسلمين تعلق خاص بالمساجد والكتب لذلك اتفق المؤسسون الأول لمدينة شنقيط على البدء بتأسيس المسجد والاهتمام بشأن الكتب والمكتبات وذلك ما سنعرض له في ما يأتي:

1. المساجد:

من المعلوم أن الفقيه محمد قلي قد اضطلع أيام تأسيس المدينة بالأمور الدينية كالإمامة والقضاء في دار قرب المسجد ولا تزال تلك الدار قائمة وإن آلت إلى أملاك المسجد نفسه.

أما المسجد العتيق بمدينة شنقيط فلا يعرف على وجه التحديد متى بني إلا أنه من المؤكد أنه بني في وقت مبكر من استقرار القوم في حاضرتهم الجديدة فارتفع الأذان وأقيمت الصلاة وترتل القرآن ومنذ تلك اللحظة اتخذ القوم منهجا صارما لإدارة المسجد وتسيير شؤونه.

ويقع المسجد الحالي وسط المدينة التي تبدو شبه أطلال وأرضه وقف تبرع به أحد المحسنين من أبناء المدينة ويعتمد المسجد على 32 سارية يستعين بها المصلون للاستراحة أثناء قراءة الحزب أو الاستماع للحديث، وسقفه من العيدان وله ميزاب وفي وسطه مصرف يجمع الماء ويمنعه من التفرق، وتتم إنارته بواسطة نبراس أو ذبال يغرس في الحائط ويتم تطييبه بأعواد الند وفيه مكان مخصص للنساء ويتوفر المسجد على محراب داخلي وقد تم تحديد بناء المسجد سنة 1378هـ وأعيد ترميمه وصيانته من جديد سنة 1429 وله مئذنة نادرة الشكل قد بنيت على قاعدة صلبة

وترتفع المئذنة عشر أمتار وبداخلها سلم من الحجارة أما أئمته فقد بلغ عددهم (32 إماما) أولهم محمد قلي وآخرهم يسلم بن البح.

ويقوم المسجد في مدينة شنقيط بجهد تثقيفي رائد، فتتم فيه قراءة الحزب وإحياء المولد النبوي بالأمداح النبوية خاصة ديوان الوسائل لابن مهيب وهمزية البوصيري وميميته كما يتم إحياء شهر رمضان بقراءة صحيح البخاري وكتاب الشفاء للقاضي عياض وصلاة التراويح بالليل وصلاة الجمعة في كل أسبوع كما تتم سقاية المصلين تعد قِرَب لهذا الغرض وللمسجد عامل خاص يقوم بخدمة المصلين، ويدفع له راتب خاص وتجمع له بعض الصدقات والإعانات من المصلين ومن المحسنين ومن أبرز المساجد في هذه المدينة.

- ✓ المسجد العتيق
- ✓ مسجد محمد عبد الرحمن بن أحمد خليفة إمامه بلاه بن الطالب .
- ✓ مسجد أهل أمبيارك إمامه إسلم ولد كنكج.
- ✓ مسجد أهل محمد صالح إمامه سيد محمد ولد الحضرامي.
- ✓ مسجد أهل سيدي عالي إمامه محمد الأمين ولد الحضرامي.
- ✓ مسجد النخيل إمامه محفوظ ولد محمد الحاج
- ✓ مسجد البئر إمامه محمد سالم ولد زروق.
- ✓ مسجد آبير إمامه محمد المختار ولد ابن.

وهناك زوايا تقام فيها الصلوات

- ✓ زاوية الطلبة إمامها إسلم ولد أحمدان
- ✓ زاوية أهل الشيخ حماه الله في شرقي المدينة إمامها محمد ولد أعليّ.

✓ زاوية الشيخ حماه الله في حي أنتكمكمت إمامها محمد ولد آدب

وكانت هذه المساجد معززة بعدد من المحاظر الأهلية نذكر من بينها:

- محظرة يسلم بن البح
- محظرة مولاي أحمد ولد مولاي
- محظرة عبد الله ولد أحمد خليفة
- محظرة داده بنت مولاي البشير
- محظرة خديجة بنت الحضرامي
- محظرة بنات أحمد ولد البح
- محظرة أهل بدي ولد المنير
- محظرة فاطمة بنت سيدي بلقاسم
- محظرة أم كلثوم بنت الطلبه
- محظرة بنّ بنت خواه
- محظرة دد بن منكاش
- محظرة محمد ولد محمد صالح
- محظرة لالـه بنت مولاي البخاري
- محظرة الحرش بنت أجديد
- محظرة زينب بنت مولاي البخاري.
- محظرة تابعة لجمعية المستقبل يدرس بها محمد بن الغاظ.

2. المكتبات:

لقد عرفت مدينة شنقيط بكثرة مكتباتها، فكانت قبلة الباحثين فبساحتها مكتبات عديدة منها مكتبة أهل حبت وهي أغناها ومكتبة الشرفاء ومكتبات أخرى غاية في الجودة والإتقان وتنوع المصادر وتعدد المخطوطات النادرة لذلك لا غنى للباحثين عن التوجه إلى هذه المدينة التاريخية الحافلة بالكتب والمكتبات.

ومن أهم هذه المكتبات ما يأتي:

- ✓ مكتبة أهل حبت وهي من أثرى المكتبات
- ✓ مكتبة أهل عبد الحميد
- ✓ مكتبة أهل أحمد محمود
- ✓ مكتبة أهل لداعه
- ✓ مكتبة أهل أحمد شريف
- ✓ مكتبة أهل الشيخ ولد حامن
- ✓ مكتبة أهل محمد الولي
- ✓ مكتبة أهل الخرشي
- ✓ مكتبة أهل البشير
- ✓ مكتبة أهل السبت
- ✓ مكتبة محمد المختار ولد الديد
- ✓ مكتبة عبد الرحيم ولد الحنشي
- ✓ مكتبة محمد عبد الرحيم ولد الطلبة
- ✓ مكتبة أب ولد أحمد محمود

- ✓ مكتبة محمد عبد الرحمن ولد أحمد خليفة
- ✓ مكتبة أهل محمد المختار ولد بد
- ✓ مكتبة أهل بهي
- ✓ مكتبة محمد المصطفى ولد الحضرامي
- ✓ مكتبة أحمد بن ونان

سادسا المدينـة: التقاليد والآداب والفنون

وفي هذا الجانب نتعرض لثلاث مستويات من الأنشطة الثقافية لهذه المدينة تشمل ما ياتي:

1. التقاليد والعادات

لأبناء هذه المدينة تقاليدهم الخاصة، ففي الأعياد مثلا يخرجون للصلاة ضحى ويحضر الكل من الرجال والنساء والصغار والكبار حتى ليبدو محفلا بهيجا، وهي تؤدى خارج المسجد والأحياء في براح محاذ للأحياء السكنية وبعد ذلك يتسامح الناس ويأخذون ذبح الأضاحي أما الواجبات الاجتماعية فمنها استحباب أن يقتاد الرجل أضاحي لأصهاره، فيرسل الرجل إلى أهل زوجه ، كما يرسل الأهل إلى بعولة بناتهم كما ينبغي إرسال ملابس جديدة إلى الأصهار من المستحب أن تكون الأنشطة الإنتاجية شبه متوقفة خصوصا الأسفار، فالرجال المتزوجون يلزمون بالحضور في الأعياد كما يعظمون ليلة عاشوراء ويسمونها ليلة " توسع" لأنهم يوسعون فيها على العيال والأهالي، وكذلك ليلة منتصف من شعبان وفي الجمعات يكثرون من التعبد ففي الصباح يقبلون على الهيللة والاستغفار وتلاوة القرآن.

ومن العادات المعمول بها عندهم أن الصبي منهم لما يختم القرآن الكريم يحتفون به احتفاء يخول تلاميذ الكتاب أن يطوفوا بالأحياء طوافا يحصلون خلاله على بعض

الهبات والهدايا تكريما للعلم ولطلابه وربما قدمت لهم اختبارات بين يدي تلك الهبات وربما حرم الطالب إذا لم يتمكن من الإجابة. وتتحلى النساء بصنوف من الحلي متعددة الأشكال والمواد فمنها ما يجمل به الشعر وهو أساسا ضفائر وتراصيع متنوعة ويضفر شعر الرأس مقسما نصفين هما الذؤابة والغدائر وفي الآذان تجعل الأقراط المصوغة من الذهب وكانوا يتخذون السواك من أراك وأثل ومن جريد الأشاء وتبدو نظرتهم إلى الجمال غير بعيدة عن نظرة العرب الأول في العهد الجاهلي فيفضلون بياض البشرة وسواد الشعور واسترسالها وامتداد القامة وإشراق المحيا ولمي الشفاه وتفلجها وبهم ميل كذلك إلى الضخامة في الجسوم فعدلوا عن رشاقة القدود إلى حب البيضة البهكنة، وفي هذا السياق راجت لديهم ظاهرة التسمين وهي المعروفة عندهم ب " التبلاح".

وفي جانب الأخلاق كانوا يمتدحون النساء بالخفر والاحتشام وغض الطرق وفتور الجفون وملازمة البيوت.

وقد ألفوا من الأغذية وجبتين أساسيتين هما العشاء والغداء ويتنوعون في صناعة الأطعمة والوجبات تنوعا كبيرا أما الشراب فأغلبه حليب أو رائب أو أقط وقد يحلى الرائب والأقط بالسكر لتخفيف حموضتهما وينقعون الصمغ العربي والتمر الهندي للشراب والدواء.

ولعل من أكثر المشروبات صلة بوجدانهم وأقواها نظرة بالتمتع هو الشاي فقد داخل حياتهم أيما مداخلة وانعكست ممارسات السلوك المتعلقة بشربه على أنشطتهم حتى ارتبط عندهم بأدبيات مخصوصة، وكانوا يحرصون على اقتنائه بأي ثمن فأوان خلو الوفاض والانفاض يقدمون شراءه على اقتناء بُلغ الزاد، إذ لابد منه في الصباح بديئا أو مسبوقا بحساء أو لبن أو مذيق كما يفضل أن يكون عقبة لكل طعام، وشاي الصباح يسمونه" أتاي" وفي الأصيل يسمونه "الذهبي" وقد ألف فيه

سيد محمد بن حبت كتابا سماه مفرج الفتى في شرب الأتاي وهو نظم يتناول الشاي من حيث الحكم الشرعي والأدوات والشرب وأوقات الشراب والآداب والظروف([1])

2. الآداب والأشعار

ولقد عرفت الحركة الأدبية بهذه المدينة رواجا كبيرا وبرز بساحاتها شعراء كثر من بينهم على سبيل المثال سيد عبد الله بن رازكه الذي يعد أبرز رواد الشعر الفصيح في البلاد الموريتانية كما نجد الشاعر أحمد بن عبد العزيز. ([2])

شنقيط تـه وافتخـر بـالعلم والأدب ... مـذ كنـت أم القـرى لقطرنـا العربـي
قطرسـما فسـما رفـع العلـوم بـه ... فدنت لـه أعين من أعين الشهب ([3])

ويقول فيها شغالي بن أحمد محمود([4])

أنـت يـا شـنقيط حقـا ... يشـهد التـاريخ فجـر
كـل حمـد فـوق هـذه الأر ... ض مـن ثـديك در
كـان قبـل اليـوم طيـا ... فيـك وهـو اليـوم نشـرد
جيلـك الماضـي تـولى ... يـوم ولـى وهـو بـر

---

[1]. مفرج الفتى في كل ذكر في شرب الأتاي: سيد محمد بن حبت (مخطوط).

[2]. شاعر مجيد مارس التدريس له ديوان شعري (ت 1990).

[3]. الثقافة الشنقيطية، مقاربة نسقية، ص 352.

[4]. إبراهيم بن محمد محمود الملقب (شغالي) تلقى تكوينه الأول بالمحضرة ثم التحق بسلك التعليم كان متمكنا من العربية واسع الإطلاع على الأداب ذا ملكة شعرية رفيعة له ديوان شعري (ت1993).

ويقول محمد الحنشي بن محمد صالح ([1])

أشـــنجيطنا يـــا بـــلاد الصـــراح وأم الرجـــال ومهـــد الكفـــاح
تـــوارى الظـــلام وجـــاء الصـــباح فيبشـــرى النجـــاح وكـــل النجـــاح

ونختم هذه النماذج بأبيات لمحمد عبد الله بن محمد المختار بن محمد يحي الولاتي ينوه ضمنها بشنقيط ويذكر منازل أهله بالحوض يقول: ([2])

بشـنجيط مـن زهـر المنـى روض سقاه ولي البشر نرجه غـض
بـه التقطت مـا تشتهيه يد الصبا ومـا غب عن أرجائها الطرب المحض
فيـــه ظبـــاء كالغصـــون تمايســـا وأعينهـــا نجـــل بأجانهـــا خفـــض
وفتيـان صـدق لا يمـل صـداقهم لهم فـي مجال الشعر مذ زمن خوض
ولكـن منـى نفس المقـيم والـذي يـروم أخـو العلياء فـي دهره الحوض
ومـــا زال قلبـــي حافظـــا لعهـــوده بشـــنجيط فمـــا مـــر قـــط ولا عـــوض

خاتمة:

وصفوة القول إن لفظ " شنقيط" في الأصل علم على مدينة بالشمال الموريتاني غير أنه شاع واتسع حتى صار عنوانا على البلد كله والقطر أجمعه فصارت بذلك تحمل بعدا حضاريا وعمقا تاريخيا فهذا اللفظ مشحون بلهب الفتح والجهاد، مشبع بدفء المعرفة والعلوم، فهي مركز من مراكز الإشعاع العلمي لحمت فيه الثقافة العربية الإسلامية شتات الأعراق والأجناس فتعانقت بساحتها الحضرات والمحاضر

---

[1] . الثقافة الشنقيطية، ص 353.

[2] . مخطوط بحوزتنا

والجامعات الأهلية والجوامع والصالحا بينهما صلحا فاتخذ القوم من هذا اللفظ شعارا وتجلى ذلك على أديم جملة من المؤلفات من أهمها : "كتاب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط"، و"بلاد شنقيط المنارة والرباط"، و"نشأة الشعر الفصيح في بلاد شنقيط"، و"أدب الرحلة في بلاد شنقيط"، ناهيك عن حضورها المكثف على مستوى المدارس والجامعات والمراكز التجارية والقنوات الإعلامية والمؤسسات الثقافية والبحوث العلمية.